# الأدب المغربي بعد ٥ حزيران

بقلم محمد التازي

ترسب في أذهان كثير من المفكرين أن المغرب بحكم بعده الجغرافي عن منطقة الصراع بين العرب والصهيونية ومن يقف وراءها مساندا لاهدافها بعيد كذلك بعاطفته وشعوره ، وهذا الترسب هو الذي يصدر عنه اولئك الذين يرصدون الحركات الادبية وتفاعلاتها من المهتمين والمختصين والمتفرغين في الجزء المشرقي من العالم العربي .

من هذا المنطلق الواقعي نستطيع أن نفهم سر الانفصام الملاحظ في موقف الادب العربي من النكبة بين أدباء المشرق وأدباء المغرب . ولعلني مسؤول ان اوضح لكم موقف الادب المغربي من القضية الفلسطينية قبل هزيمة حزيران ، وبعدها . ان هذا الكشف ضروري ـ حتى ولو عجز الوقت المحدد عن استيعابه ـ ليفهم بعضنا بعضا في البداية . ولنكون موضوعيين عند تقييمنا لحركة الفكر العربي في مواجهة التحديات التي تحيط به .

الادب المغربي بعامة أدب كفاح ، وأدب معركة ، وأدب حرية ، وأدب التزام ، وأدب عروبة .

أدب كفاح لانه منذ المواجهة التاريخية بيننا وبين أوربا المتوثبة ، ومنذ بدء النهضة العربية كان قدر علينا أن نجند ما نملك من سلاح لنكافح ضد الفناء في دول أجنبية عنا لغة وفكرا وتاريخا وحضارة ، وما كنا نملك من مواجهة التقدم العلمي والتقنية العسكرية للمستعمرين، غير سلاح الكلمة ، فانطبع أدبنا بصرامة المكافحين فكان أدبا جادا لا هزل فيه ، وجافا لا ليونة في مفرداته وبنائه .

وكان أدبنا أدب حرية ، لايماننا انه بدون حرية ، فلا فكر ، وبدون حرية فلا أدب ، وبدون حرية فلا التزام . ولان أدبنا الحديث ولد مع كفاح الشعب ، كان واجبا أن يبقى وفيا لهدف كفاح الشعب ، وهو الحرية .

لهذه الخصائص القومية والانسانية التي تطبع الادب المغربي ، ارتبط الادباء المغاربة بكل قضايا الحرية والقومية ، وفي الفترات التي كان الفكر العربي ـ شعرا ـ يمر بالمرحلة الرومانسية في مدرسة ابوللو، وبالصراع النقدي عن الوحدة العضوية للقصيدة بين مدرسة العقاد والمازني ، وعبد الرحمن شكري ، وبين انصار شوقي وحافظ ، كان الفكر المغربي في الفترة ذاتها ، أي في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات ، يصارع محاولة الاستعمار في القضاء على عروبة المغرب لمحو قوميته ، وعزله نهائيا عن الوطن العربي لغة وتفكيرا .

كان جيل آبائنا اذ ذاك يقاوم الانفصام القومي بين العرب والبربر، وكان الفكر العربي ـ نثرا ـ يهدر طاقته في صراع رجال السياسة على الحكم .

في ذلك الحين أيضا كان شعب فلسطين يقاوم السياسة البريطانية الهادفة الى غرس خنجر اسرائيل في قلب العالم العربي ، فلم يعجز الفكر المغربي أن يربط بين الحادثين ، ويمزج بينهما ويستصرخ الامة العربية أن تستيقظ من رقادها ، ويسجل السيد علال الفاسي هذا الترابط والتمازج في قصيدة نظمها اثر المظاهرات النسائية في فلسطين عام ١٩٣٢ يقول فيها :

ان البلاد يعيث فيها المستبدون الشداد
يتمتعون بخيرها ونظل نحرم من سداد
يأبون ان نسعى لعلم أو لفكر في اتحاد
والان قد خطت فلسطين لنا سبل السداد
حيا الاله فتاتها وحمى مواقفها الجياد
كوني فتاة العرب رائدة لنا يوم الجلاد
ضمي الصفوف ووحدي لا تخشي اهل العناد
لا تتركيها فرقة ترمي بنا في كل واد

ولم ينشغل المفكر المغربي بقضايا وطنه الخاصة ، بل انه يعتقد أن مصيره مرتبط بمصير الامة العربية ، لذلك بقي وفيا لانفعاله مع الانسان العربي في شقائه ومحنته وتطلعه لغد أفضل ، وبحكم تجربتنا الطويلة مع الاستعمار ، وادراكنا المبكر لهدفه وغايته ، كنا ننظر باشفاق الى مصير المعركة بين الصهيونية والاستعمار من جهة ، وبين الشعب العربي الطموح النبيل ... لذلك صدقوني اذا أكدت لكم أن النخبة الواعية المفكرة في المغرب لم تفاجأ بما وقع يوم خامس يونيه الاسود ، ولكن فوجئت بنتائج ما وقع ، وبفداحة ما حدث ، ان الحرب قدرنا مع الاستعمار والصهيونية ، ولو لم يخلق الاستعمار اسرائيل لخلق مسوغات يستنزف بها قدراتنا وطاقتنا ، ويعرقل بها مسيرتنا للخلاص من أسر القرون الوسطى ، ومن استرقاق الرجعية للقيم الانسانية لدى المواطن العربي .

وحين وقعت الكارثة ، انتحرت فتاة ، لانها خسرت رهانا مع صديق بانتصار العرب ، وزاغ عقل شيخ ، لان القدس سقطت ... واغرورقت عينا قائد بالدموع ، لان جيشه لم يستطع الوصول الى ارض المعركة .. ولم يسقط الفكر المغربي ضحية لهذه المظاهر الطبيعية التي لا يملك المرء لها ردا ، وانما حافظ على صفائه ، وواصل استيعابه لبواعث الهزيمة ، ووسائل الاستفادة منها ، مستقصيا لظروفها . لم يصمت شاعر ، ولم يخب ذهن كاتب ، ولم ينطفيء ادراك مفكر .

بقي الشاعر المغربي محافظا على اصالته الفنية ، وعلى صدق عاطفته يستوي في ذلك الشعراء المخلصون للعمود الشعري ، وشعراء المدرسة الحديثة ، واذا كان هناك من اختلاف بينهما فهو اختلاف استوجبه التكوين الثقافي ، واستلزمته النظرة الخاصة لكل فريق الى اسباب الهزيمة .

فمن الفريق الاول نجد شعراء ، أمثال علال الفاسي ، المهدي ابن ادريس العمراوي ، ادريس الجائي ، عبد الكريم التواتي ، محمد الحلوى .

ومن الفريق الثاني شعراء أمثال الطبال ، والجوهري ، ومالكة العاصمي ، وابن دفعة ، وابو عسل وابن ميمون .

بل ان النكبة خلقت مجموعة من الشعراء ، سمعنا أصواتهم للمرة الاولى ، وفي ميدان القصة كان أبرز الاعمال القصصية مجموعة الاديبة خناثة بنونة « النار والاختيار » ، التي تضيف رصيدا من الشعور القومي الصادق الى أدب النكبة .

ومن الكتاب : رفيقة الطبيعة ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد الجبار السحيمي ، وعبد القادر السميحي ، والعربي المساري ، ومحمد العربي الخطابي ، ومحمد الصباغ ، ومصطفى اليزناسي ، والهرادي ، وعمر نجيب ، وعبد المجيد بن جلون .

وأصدرت دار العلم كتابا حلل فيه مؤلفوه : غلاب ، والسحيمي ، والمساري أسباب الهزيمة وظروفها ، ونشطت حركة الترجمة لتعريف المواطنين بما يقوله خصوم العرب واصدقاؤهم ، ودعي مؤلف كتاب « ضد اسرائيل » لزيارة المغرب ، وترجمت جريدة العلم كتابه ، بعد أن نشرته

بالفرنسية جريدة الرأي . وأوفدت الصحف مراسلين تجولوا في انحاء العالم العربي ، ودرسوا على الطبيعة ظروف النكبة ، وعادوا لينشروا التحقيقات والدراسات والاحاديث باللغتين العربية والفرنسية .

وتأسست جمعية مغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني ، وتتكون من أدباء ، ومحامين ، وأطباء ، وأساتذة ، وطلبة وعمال . ولعل المغرب البلد العربي الوحيد الذي صدرت فيه بعد النكبة جريدة اسمها « فلسطين » لا تنشر الا ما له صلة بقضية فلسطين .

فما ميزة هذا الادب ، وما أصالته ، وما روافده ؟

هل هو أدب مأساة ، أو أدب معركة ؟

هل هو أدب يأس وضياع ، أم أدب اصرار على احراز النصر ؟

هل هو أدب استسلام ، او أدب مقاومة وفداء ؟

هل هو أدب أعلام ودعاية ، ام أدب كشف للحقائق وتوعية للجماهير؟

هل هو أدب نكبة ، أو أدب نكسة ، او أدب هزيمة ؟ ...

ان الادب المغربي بجميع أشكاله التعبيرية لم ينزلق الى هاوية الغموض والابهام ، ليبتعد عن مواجهة المشكلة الحقيقية ، كما نلاحظ ذلك عند بعض الادباء في المشرق العربي ، الذين ألفوا أن لا يعالجوا القضايا القومية والانسانية الا حين تمسهم هذه القضايا مباشرة . وأغلب هذا المس لا يكون تلقائيا بل لا بد له من مؤثر سياسي ... فينقلب الادب الى اعلام ، والى دعاية .

ان الاديب المغربي الذي لم تفاجئه الهزيمة وما نجم عنها من أحداث ، وجد في الهزيمة دليلا على صدق حدسه واحساسه ، ففي الوقت الذي ظهر فيه أدب التشاؤم واليأس والشك في كل القيم والمقومات الاخلاقية والانسانية ، حرص الادب المغربي على التأكيد على ضرورة التمسك بالاصالة الروحية للانسان العربي . ونحن على خلاف واضح مع بعض النقاد العرب ، فعندما لاحظوا سطحية الادب العربي بعد الهزيمة ، وتعبيره المباشر عن آثارها ، زعموا أن ذلك يرجع الى فقدان العمق والاصالة من الثقافة العربية المعاصرة . بينما زعمنا أن الثقافة العربية غنية بالعمق والاصالة ، وأن مرد السطحية الملاحظة ، هو سقوط الادب بين براثن الاعلام . فلا الادب استمر على اصالته محافظا على مقوماته ، ولا الاعلام استفاد من قدرة الاديب على التعبير ، فتكررت معه قصة الغراب الذي أراد أن يتعلم مشية الحمامة ، فنسي مشيته ولم يتعلم مشية الحمامة ، وكانت كارثة الاعلام العربي المهدة للكارثة العسكرية ، وبذلك فقدت الكلمة اشراقها ، وصدقها ونفاذها ، وأخذ الوطن العربي يكذب كل ما يسمع ويقرأ ، بعد ان كان يصدق كل ما يسمع وكل ما يقرأ ، وأصبحت المشكلة في نظرنا ليست مشكلة تعبير وقول وتبليغ ، وانما المشكلة مشكلة تصديق ما يكتب وما ينشر . فقد فقدت الثقة بين الاديب والانسان العربي ، حين اكتشف هذا الانسان الطبيب المكافح ، أنه كان ضحية للمذياع ، والتلفاز ، والصحيفة والكتاب ، قبل أن تزحف عليه قوى الشر بأسلحتها الفتاكة لتفتاله ، وتحرقه وتشرده .

في المغرب حرصنا كل الحرص على أن نحتفظ بادراكنا السليم لرسالة الاديب ودوره في المعركة ، فكان أدبنا أدب كشف لحقائق الواقع العربي اجتماعيا وسياسيا ونفسيا ، توعية للجماهير ، حتى تبقى محافظة على تماسكها النفسي ، فلم يكن أدب دعاية واعلام .

كذلك فان الادباء العرب انفصلوا الى فئات ثلاث بعدما حصل يوم ٥ حزيران . وهذا الانفصال لم يكن ناتجا عن اختلاف في التفكير أو في النظرة لما وقع يوم ٥ حزيران ، وانما حصل بتأثير وسائل الاعلام التي ما تزال لها الكلمة الفاصلة في محاولة التأثير على التكوين الانفعالي للانسان العربي .

وهذه الفئات هي :

فئة النكسة ، التي تعتقد أن ما حدث يوم ٥ حزيران هو مجرد نكسة أصابت الكفاح العربي ، وأنها لا يجب أن تؤثر بأي حال على السياسة والمنهج والاسلوب والتفكير ، وكل ما كان خطة للعمل قبل ٥ حزيران . هؤلاء هم الذين أريد لهم أن يرفعوا علم النكسة بعد الحرب ، واتخذوا من الكلمة مسوغا للاستمرار في السياسة التي كان سوقها رائجا قبل ٥ حزيران .

وفئة النكبة ، أولئك الادباء الذين أطلقوا على ما حدث يوم ٥ حزيران اسم النكبة ليعبروا من خلال هذه التسمية على استمرار شكهم في السياسة والمنهج والاسلوب الذي كان سائدا قبل ٥ حزيران وزادتهم النكبة اقتناعا بتفكيرهم وتأكيدا لشكهم .

وتسمي الفئة الثالثة ما حدث بعد الخامس من حزيران بالهزيمة العسكرية ، لتحدد مسؤولية ما وقع ، ولتضع خطا فاصلا بين المسؤولية الشعبية التي انزوت وخفتت ، وبين المسؤولية العسكرية التي أوشكت أن تقضي عليها . وجاءت الهزيمة العسكرية لتؤكد هذه الحقيقة ، واذا كان المستقبل من صنع الحاضر ، فان الحاضر من صنع الماضي ، والذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم أن يعيدوا أخطاءه ، حتى ولو لم يريدوا ذلك . ومجرد رفض الماضي لا يقيم حاضرا ، ولا يعد لمستقبل ، رفض الماضي لا يكفي ، وارادة التغيير لا تجدي ، وتقييم ما حدث يوم ٥ حزيران وما نتج عنه يجب أن يكون تقييما سليما ، وأخشى اذا نحن حاولنا هذا التقييم أن نجد نتائجه سلبية .

***

بعد الهزيمة العسكرية في حزيران ١٩٦٧ ، تكشفت لنا بعض الحقائق التي لا نزعم أنها غير قابلة للمناقشة ، وانما هي أفكار سأكون سعيدا لو حظيت بانتباهكم .

أولا ـ ان دور الادب بعد الهزيمة لا يجب أن يكون دورا تسجيليا لما حدث ، أو دور المتنبيء لما قد يحدث ، فتلك مهمة الصحفي ، وليست رسالة الاديب .

ثانيا ـ ان معظم النتاج الادبي في هذه الفترة كان تعبيرا عن العواطف التي حركتها الهزيمة في نفس الانسان العربي ، فلم تزد على أن أذكت نار حقده وسخطه ، ونقمته ويأسه .

ثالثا ـ ان المثقفين العرب قصروا في واجبهم نحو الجماهير التي


صدر حديثا عن :

**دار بيروت للطباعة والنشر**

***

| | الثمن |
|---|---|
| **الاسلام والخلافة** للدكتور الخربوطلي | ٦٠٠ |
| **اليمن شماله وجنوبه** للاستاذ محمود كامل المحامي | ٦٠٠ |
| **جواهر البخاري** تأليف مصطفى محمد عمارة | ٤٠٠ |
| **الادب النبوي** تأليف محمد عبد العزيز الخولي | ٤٠٠ |
| **المفرد العلم** تأليف احمد الهاشمي | ٢٢٥ |
| **سبل السلام** للعسقلاني | ١٠٠٠ |
| **بلوغ المرام من ادلة الاحكام** للعسقلاني | ٣٠٠ |

تحولت من فعل مؤثر ، الى متفرج فـي حلبـة يتصارع فيهـا الطمـوح الشخصي على حساب قضية الجماهير ، فاوشكت هذه الجماهير أن تفقد حس المعركة ، ان لم يكن هذا الفقدان قد وقع بالفعل ، وكان من بين أسباب الهزيمة .

رابعا ـ ان المثقفين كانوا يجهلون كل شيء عن العدو المتربص بهم. ولجهل المثقفين وليد هو جهل الجماهير بحقيقة المعركة التي يجب أن تعبأ لها ، في الوقت الذي كان العدو يعرف كل شيء عن العرب فاعتدى علينا بالمعرفة وواجهنا بالجهل .

خامسا ـ اننا نعتقد أن تخلفنا الاقتصادي والاجتماعي والتقني ، نتيجة حتمية لتخلفنا الثقافي ، فالتقدم الاقتصادي والاجتماعي والتقني وليد الثقافة ، وليس يصح العكس .

سادسا ـ ان معركتنا مع العدو ليست معركة تقدم وتخلف ، وانما هي معركة ثقافية حضارية .

سابعا ـ ان العدو جعل التوسع في اراضينا ، والقضاء علينـا المبتدا والمنتهى في سياسته وتفكيره وتخطيطه ، بينما نجعل نحن بعضنا هدفا في تفكيرنا وتخطيطنـا .

ثامنا ـ ان الجماهير العربية ترفض رفضا باتا أي حل سـياسي على حساب قضية الارض والشعب ، وان الادب العربي أكره في كثير من اجزاء الوطن العربي على تجنب تحليل هذا الرفض وتعميقه لـدى الانسان العربي .

تاسعا ـ ان هذه الحقيقة تضع امامنا موضوعا خطيرا لعله اخطـر قضية تواجه الادب العربي . وذلك هو موضوع الحرية . فالى اي مدى يتمتع الاديب بحرية التعبير في الوطن العربي ؟ وهل يكفي أن تصـدر القرارات والتوصيات مطالبة بهذه الحرية ؟ .

عاشرا ـ ما هذه الحرية التي نطالب بها للاديب ؟ عـلى المؤتمرين أن يقولوا كلمتهم في صراحة ووضوح ، حتى تنجلي حقيقة هذه الحرية التي نزعم أنها ملهمتنا ورائدتنا .

ان اتحاد كتاب المغرب قد درس موضوع حرية الاديب في مؤتمـره الذي انعقد في الرباط في شهر تموز ١٩٦٨ « واعتبارا منه بان رجـل الفكر هو العنصر المتنور في العالم العربي ، واعتبارا لكونه يتميز بطاقـة فعالة هي طاقة التعبير ، واعتبارا لكونه ملزما بتحمل مسؤولية كاملة في التنوير ، والتوجيه والبناء ، وملزما بالمساهمة في التقـدم الثقافي تحقيقا لتطور اجتماعي ونمو اقتصادي ، حتى يتمكن الى جانب قطاعات الشعب الاخرى من ممارسة حقوقه المشروعة التي كافح من اجلهـا ، فاننا نرى ضرورة فسح مجال عرض وتقبل وذيوع الافكار وحريـة مناقشتها » . فلا مسوغ اطلاقا لفرض وصاية على الفكر البشري ، مهما كان نوع هذه الوصاية ، وكيفما كان شكلها ، لان فرض مثل هذه الوصاية « ستقلص من دور الكتاب والمثقفين ، وتدفعهم نحو العزلة والانكماش واللامبالاة ، وتدفع بالحياة الفكرية والثقافية الى فراغ يسهل انزلاقها نحو الزيف والتحلل والانحراف »، فلا فكر بدون حرية ، ولا كرامة بدون حرية ، ولا حرية ولا كرامة بدون مسؤولية ، ولكن ما بداية الحرية وما نهايتها ؟ .

ذلك موضوع آخر اطرحه امامكم للمناقشة ، فقد تردد هذا السؤال من قبل كثيرا ، من غير أن يصل واضعوه الى تحديد جامع مانع له . علينا أن نبحث ونقارن بين مختلف المفاهيم الحديثة للحرية ، لنلـزم أنفسنا بأصلحها للمجتمع العربـي ، والمستقبل العربـي ، والكرامـة العربية . ولقد مر الشعب العربي بكثير من التجارب ، وخبر عددا مـن النظم والاتجاهات . فهل استقر على سبيل ؟ أم أنه ما يزال ضائعا ؟...

حادي عشر ـ ان كتاب المغرب تقديرا منهم لمسؤوليتهم نحـو قضية العرب الاولى ، فلسطين ، ألزموا أنفسهم في المؤتمر الذي عقـدوه بالرباط في شهر تموز ١٩٦٨ ، بالدعوة الى تجنيد اقلام الكتاب لفضح الاساليب الصهيونية المختلفة ، وقرروا اقامة مهرجانات خاصة لكفاح شعب فلسطين ، مساهمة منا في دعم الكفاح العادل والمشروع الـذي يخوضه الشعب الفلسطيني ، ودعا المؤتمر الكتاب في جميع انحاء العالم العربي والاسلامي لتوحيد الخطة لمقاومة الخطر الصهيوني .

ولسوف يسعد الادباء المغاربة أن يتبنى المؤتمر هذه المقترحات .

**محمد التازي**


# ١٠ ثورات في الإسلام

**تاليف**

**الدكتور علي حسني الخربوطلي**

تتميز الامة العربية دائما بالحيوية والايجابية ، وقد شهدت في عصرها الاسلامي كثيرا مـن الثورات اختلفت في أهدافها ومظاهرها ولكنها اتفقت كلها في التعبير عن تلك الحيوية وهذه الايجابية .

ويدرس هذا الكتاب تاريخ عشر ثورات شهدها العصر الاسلامي دراسة علمية منهجية ويبرزها من زوايا جديدة تختلف عن الزوايا التي تعرض لها المؤرخـون والباحثون ، وهي :

ثورة الاسلام والثورة المضادة ـ ثورة على خليفة ـ ثورة الشراة ـ ثورة أبي الشهداء ـ ثورة العائـذ بالكعبة ـ ثورة التوابين ـ ثورة ضد التفرقة العنصرية ـ ثورة ناصر المؤمنين ـ الثورة المعتدلة ـ ثورة الزنج.

كتاب هام يحتاج المواطن العربي في هذه الفترة التي يخوض فيها الشعب العربي ثورة عظيمة ضـد الاحتلال والصهيونية والعنصرية والاستعمار .

**صدر حديثا** **٣٠٠ ق. ل**